حصاد الرحلات

محاضرة

ألقاها الشيخ محمد بن ناصر العبودي

في قاعة المحاضرات بجامعة أم القرى

في مكة المكرمة

مكتبة الرشد
ناشرون

ح مكتبة الرشد ، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العبودي، محمد بن ناصر العبودي ـ الرياض، ١٤٢٨ هـ
حصاد الرحلات / محمد بن ناصر العبودي،
الرياض، ١٤٢٨ هـ
ردمك: ٩ ـ ٦٧٤ ـ ٠١ ـ ٩٩٦٠
١ ـ أدب الرحلات ٢ ـ العبودي، محمد بن ناصر أ. العنوان
ديوي ٩١٠,٤ ٥١٤٢٨/٢٧٤٣

ردمك: ٩ ـ ٦٧٤ ـ ٠١ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٨/٢٧٤٣

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مكتبة الرشد ـ ناشرون
المملكة العربية السعودية ـ الرياض
شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)
ص.ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس: ٤٥٧٣٣٨١
E-mail: alrushd@alrushdryh.com
Website: www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة
الرياض: فرع طريق الملك فهد - هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ - فاكس: ٢٠٥٢٣٠١
فرع مكة المكرمة - شارع الطائف - هاتف: ٥٥٨٤٠١ - فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
فرع المدينة المنورة - شارع أبي ذر الغفاري - هاتف: ٨٢٤٠٦٠٠ - فاكس: ٨٢٨٣٤٢٧
فرع جدة - مقابل ميدان الطائرة - هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ - فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤
فرع القصيم - بريدة - طريق المدينة - هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ - فاكس: ٣٢٤١٣٥٨
فرع أبها - شارع الملك فيصل - تلفاكس: ٢٣١٧٢٠٧
فرع الدمام - شارع الخزان - هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ - فاكس: ٤٨١٨٤٧٣
فرع حائل - هاتف: ٥٣٢٢٢٤٦ - فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦
فرع الإحساء - هاتف: ٥٨١٣٠٢٨ - فاكس: ٥٨١٣١١٥

مكاتبنا بالخارج
القاهرة - مدينة نصر - هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣
بيروت - هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ - موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ - فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

قــدم المحاضر الأستاذ الدكتور عبدالله الرميان أستاذ في الجامعة وهو المشرف على موسم النشاط الثقافي فيها فقال:

الحمــدلله نحمــده ونســتغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومــن يضــلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شــريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق. ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد

أمســية ســعيدة ولــيلة مباركة، نستضيف فيها عَلَماً من أعــلام هذه البلاد، وعالماً من علمائها، وأديباً من أدبائها، في ليلة مباركة حيث يتكلم ويتحدث لنا أو إلينا معالي الشيخ محمد في هذه الأمسية المباركة وقد لبى هذه الدعوة مشكوراً مأجوراً إن شاء الله، يوجه الحديث لإخوانه وأبنائه في ليلة ثقافية.

أيها الأخوة

حديث الليلة من معالي الشيخ حديث لا يحسن أن يتحدث بــه إلاّ هــو، فهــو إمامه في هذا العصر وحامل لوائه، وإنه حديــث عــن رحــلات امتدت فشملت بلاد الأرض، فلم يدع الشــيخ بقعــة من بقع الأرض إلا وقد وصلها، فهو يحط من سفر إلى سفر في رحلة امتدت لأكثر من أربعين سنة ولا أود

أن أسِـــهب بالحديث، فالجميع بشوق إلى سماع حديث الشيخ وهـــو الذي قد أخذ بمسامع الناس وبقلوبهم في حديثه الإذاعي "المســـلمون فـــي العـــالم" وقـــبل أن نستمع إلى حديث الشيخ ونســـتمتع بذلـــك أود أن أتحدث بنبذة يسيرة عن معالي الشيخ وإن كانت لا تخفى على الكثير.

الشـــيخ محمد بن ناصر العبودي ولد في مدينة بريدة في مـــنطقة القصيم سنة ألف وثلاثمائةٍ وخمس وأربعين للهجرة، ونشـــأ فيها، وتلقى العلم عن علمائها ولازم الشيخ عبدالله بن محمـــد بـــن حميد رحمه الله ملازمة تامة، ثم بدأ بعد ذلك في رحلـــة وظيفية ابتدأها قيماً لمكتبة جامع بريدة، ثم مديراً لأحد مدارســـها حيـــن تأسيسها في بداية التعليم في هذه البلاد؛ ثم مديـــراً لأول معهـــد علمي في بريدة أفتتح سنة ألف وثلاثمائة وثـــلاث وسبعين للهجرة، وبقي في إدارة المعهد سبع سنوات ثـــم انتقل بعد ذلك إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، حال تأسيسها أميناً لها ثم وكيلاً لها.

ثـــم انتقل بعد ذلك إلى رابطة العالم الإسلامي وهو الآن الأميـــن العـــام المســـاعد لـــرابطة العالم الإسلامي بالمرتبة الممتازة، ونسأل الله سبحانه وتعالى لنا وله التوفيق والسداد.

هذا فيما يتعلق برحلته الوظيفية.

أما ما يتعلق بالتأليف والتصنيف فالشيخ مكثر من التأليف والتصـــنيف كما هو معلوم، فقد أثرى المكتبة الإسلامية بأكثر مـــن مائتـــي كـــتاب طـــبع الكثير منها، عامة هذه الكتب في الرحلات، فهو يكتب عن البلاد التي يزورها، عن حضارتها، وعـــن أديـــانهم، وعن عاداتهم وتقاليدهم، وعن غير ذلك مما يواجهـــه فـــي رحلاته طوال هذه الأعوام الكثيرة، ومع ذلك فللشـــيخ مشـــاركات فـــي سائر العلوم في الشريعة، والأدب، واللغة وغير ذلك.

ولـــو أردنا أن نستعرض ما للشيخ من مؤلفات لطال بنا المقام ولاستأثرنا بالحديث عنه.

ولكـــن لا أريـــد أن أطيل في ذلك فالجميع ربما قد اطلع على كثير من مؤلفات الشيخ، بل واستفاد منها.

ندع إذن الشيخ مع هذه الرحلة الممتعة التي يحلق فيها الشيخ وتمـــتد بمد هذه الأزمان الطويلة ونجتني من الفوائد العظيمة التي أخذهـــا الشـــيخ والتـــي وقف عليها واستفاد منها طوال هذه المدة وخـــلال هذه الرحلات الطويلة والجميع بشوق إلى حديث الشيخ، فالشـــكر لله تعالى أولاً وآخراً ثم للشيخ على استجابته لهذه الدعوة الكريمة وأدع الحديث بعد ذلك لمعاليه فليتفضل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانـــا، عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبع هداهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنني أشكر الله سبحانه وتعالى وأحمده على أن قدر هذا الاجتماع المبارك مع أبناء وأساتذة جامعة أم القرى وبعد ذلك أثـــنى بالشـــكر علـــى أخينا وصديقنا صاحب المعالي الأستاذ الدكـــتور ناصر الصالح مدير الجامعة، ونتحدث إلى إخواني الموجوديـــن في هذه القاعة فيها سواء أكانوا منتسبين للجامعة أم كـــانوا من خارجها، ثم أشكر أخانا الكريم صاحب الفضيلة الدكتور عبدالله الرميان الذي كرم فبادر بدعوتي لهذا الاجتماع المبارك إن شاء الله.

ثـــم إنه بعد ذلك كُرم وقدمني كما سمعتم بكلمات طيبة لا أســـتحقها ولكـــنه جزاه الله خيراً من حسن ظنه بأخيه، جعله حسن ظنه يقول هذه الكلمات فجزاه الله عنا خيراً ونسأ ل الله ســـبحانه وتعالى أن يجعلنا عند حسن ظن إخوتنا، هو وأمثاله من الناس الطيبين. أما بعد:

فـــإن موضوع الرحلات موضوع واسع ومهم في الأدب الإسلامي وبخاصة في العصور الزاهية للغة العربية وللثقافة

العربـــيـــة بحيث إن اللغة العربية في تلك الأزمان قد حصلت أو كـــان نصـــيبها من الرحلات أكبر نصيب في أية لغة من اللغات قبل عصر التطور الأوربي الأخير.

عصر التطور الأوربي الأخير هو في الحقيقة غني بكتب الـــرحلات وإن تكـــن غـــير كتب علمائنا الأوائل الذين كانت أغراضـــهم فـــي الترحال متنوعة يجمع بينها ابتغاء وجه الله، والعمـــل علـــى ما يرضي الله والإفادة والاستفادة من المشايخ وإفادة الطلاب بعد ذلك.

لكـــن بالنســـبة لبعض الأوربيين أنتم تعلمون أنهم بدءوا عصر الاستكشاف والبحث، بحثاً ميدانياً في الأقطار البعيدة ثم بعـــد ذلك بدءوا عهد الاستعمار، فكأن الاستكشاف في الحقيقة تمهـــيد للاســـتعمار والاســـتملاك، وقد حداهم ذلك الطمع في ثـــروات البلدان، ولذلك نجد البلاد التي استعمروها في أفريقيا نجدهم أسموها أسماء مستوحاة من هذا.

فمثلاً ساحل العاج كانوا يطمعون في العاج الذي هو سن الفيل ثم أيضاً ساحل الذهب غانا، كانوا أسموها ساحل الذهب، إلا أن أهلهـــا بقيادة جوامي نكروما، أول رئيس جمهورية بها غيروها إلى اسم (غانا) لماذا؟

لأن (غانـــا) كانـــت أولـــى الممـــالك في إفريقية، كثير من

الأوربيين ينبزون الأفارقة بأنهم ليس لهم ماضٍ عريق وليست لهم ممالك ولا كانت عندهم جامعات، بل نعتوهم بأنهم لم يسهموا في الحضارة العالمية، وهم بالحقيقة لا يستطيعون أن يقولوا هذا للأمم العريقة كالأمة العربية على سبيل المثال لأنهم كانوا تلاميذ العرب كما هو واضح ومعروف حتى إن مدينة قرطبة كانت هي أولى المدن في أوربا التي عرفت الإنارة العامة.

فكانت شوارعها وميادينها تنار بالقناديل في الوقت الذي كانت فيه مدن أوربا تسبح في الظلام، ليس الظلام الحسي فقط، وإنما حتى الظلام الفكري كما يعترفون به، ثم نعود إلى موضوع الحديث عن الرحلات.

فنقول إن الحديث عن الرحلات كما كرَم أخونا الدكتور عبدالله الرميان جزاه الله خيراً، هو حديث واسع، يهم فريقاً كبيراً من الباحثين؛ بل فرقاً كثيرة من الباحثين والعلماء، فهي تهم الأديب لأن أدب الرحلات هو أدب معروف من قديم، وقد تطور في هذا الزمان حتى صارت له قواعد وصار له أناس يشتاقون إلى قراءته والإطلاع عليه، ثم هي أيضاً تهم العالم الجغرافي لأنها قائمة في الأساس على زيارة البلدان، وعلى زيارة المواقع الجغرافية فيها، وعلى الحديث عنها وعما يشاهده الرحالة من الغرائب التي توجد في البلدان التي يزورها.

وهي أيضاً تهم الباحث من رجال الحديث، وأنتم تعلمون أن علماءنـــا العظـــام أمثال الإمام البخاري والإمام أحمد بن حنـــبل وإســـحاق بن راهويه ويحيى بن معين وأمثالهم آلاف، هـــؤلاء كلهم كانوا يرحلون لطلب الحديث إلى البلدان النائية حـــتى إن بعضهم رحل إلى اليمن ليسمع حديثاً من عبدالرزاق الصنعاني، رحم الله الجميع.

ولم يقل أحد إن عمله هذا فيه ضياع للوقت، ولم يقل إن فيه إسرافاً في إنفاق الوقت وإلا ضياع الوقت غير وارد.

فكثير من الأحاديث التي تكلم في إسنادها العلماء استطاع بعضـــهم أن يوثقها عن طريق معرفته برحلة ذلك الراوي إلى البلد الذي فيه المروي عنه.

فكانت الرحلة موثقة للحديث من بعض النواحي.

وهنالك أشياء أخرى كثيرة وفوائد تهم العالم حتى عالم الفقه.

مثلاً عالم الفقه يجرب، يذهب إلى البلاد فيرى أن ما سمعه أو ما قـــرأه لـــيس كمـــا تخيله، ونحن نعرف من ذلك ونستشهد بمنسك لشيخ الإســـلام ابـــن تيمية رحمه الله، فقد كتب منسكاً في أول طلبه العلم قبل أن يحج، ثم بعد ذلك كتب منسكاً آخر بعد أن حج غيَّر فيه ما استجد له مـــن المعلومـــات لأن الإنسان لم يكن يتصور مناسك الحج كما ينبغي،

لـــيس معـــنى هذا قواعد الحج، لكن لم يتصور مواقع الجواز أو عدم الجـــواز والحـــرج وعدم الحرج والوقت وضيق الوقت، ثم يجتهد في ذلك، كذلك يتصور أن الحجيج كان يأتي بقوافل هائلة كبيرة.

إذا قـــال مثلاً بأنه يجب على المرأة الحائض أن تطوف طـــواف الوداع وهي لم يصبها الحيض أي لم تجلس إلا منذ يـــوم أو يوميـــن وتحتاج إلى وقت طويل، فكيف يقال لها إنها لابـــد أن تنتظر حتى تطهر ثم بعد ذلك تطوف طواف الوداع، والقافلة كبيرة لا يمكن أن تنتظرها؟

وهـــذا أمـــر معـــروف ثـــم هناك شيء أنا رأيته بنفسي وعجبـــت منه، وهو أنني صادفت في رحلاتي ثلاث مدن في الشـــمال، تلـــك المدن الثلاث كلها على حافة المنطقة القطبية فأولهـــا كـــان مديـــنة مورمانســـك ومدينة مورمانسك باللغة الروســـية القديمة معناها المدينة الشمالية، ولا أرى أحق بهذه التسمية منها لأنها واقعة في منطقة القطب الشمالي.

وعندما زرناها في اليوم الثاني والعشرين من شهر يونيو لـــم تكن الشمس تغيب عنها مطلقاً، بل كانت تدور في الأفق ولا ترقى إلى كبد السماء في نظر العين، فنحن في ذلك الوقت ماذا نصنع بالصلاة؟

الحقيقة نحن ولله الحمد قد اطلعنا على ما قاله بعض الفقهاء عن هذا الموضوع، ولكننا لم نشاهده مشاهدة عيان، ولم نعرفه معرفة شخصية إلا بعد أن رحلنا إلى تلك البلاد، فنحن نعرف أن للفقهاء رأيين في هذا الأمر.

الرأي الأول: هو تقدير الوقت وهذا ما أخذنا به، فمثلاً كنا نصلي الظهر في الساعة الثانية عشرة، ثم نصلي المغرب في السادسة ووقت الظهر كأنه وقت المغرب، ثم بعد ذلك نصلي العشاء في الثامنة، وهكذا، والشمس لا تغرب مطلقاً، بل نراها حتى إننا عندما وصلنا إليها وأنا ذهبت إلى هناك في أخريات أيام الاتحاد السوفيتي قبل انفراط عقده، وقبل اضمحلاله فكانت الحكومة الروسية قد أرسلت إلى المسؤولين في المدينة مورمانسك بأن يستقبلوني لماذا؟

ليس لشخصي وإنما لأنهم يريدون أن ينشئوا علاقات مع المملكة العربية السعودية، وأنا أول شخص يعتبرونني من هيئة إسلامية زار تلك البلاد حسب ما قالوه لنا وحسب ما تأكدت من ذلك فرأيت في استقبالنا في المطار من أهل مورمانسك رئيس البلدية هناك الذي هي مدينة مورمانسك، وكذلك مدير الشئون الدينية فيها.

ومن الغريب أنه يوجد في جميع البلدان والمدن في

البلدان الشيوعية السابقة توجد وزارة لشئون الأديان، ولها فروع في كل مدينة.

هذه الوزارة ليست مهمتها تشجيع التدين، وإنما مراقبة المتدينين، ومراقبة التأثير الديني، فهم أنشؤها من أجل أن يراقبوا المتدينين ويراقبوا انتشار الدين حتى يمنعوا ذلك، فهذا الرجل مدير الشئون الدينية هو موظف حكومي قابلنا في المطار، وكذلك قابلنا معه بعض الأشخاص، وقالوا لنا وهذا هو الذي أردت أن أقوله لكم: إن بلادنا كما ترى، ليس فيها شمس تغرب، وليس فيها ليل، ولذلك نحن نطرح أمامكم الوقت الذي تريدون فيه الجولة، فإن أردتم أن تكون في الساعة الثانية عشرة ليلاً، بالليل الاصطلاحي وإن أردتم بعد ذلك فكل الوقت عندنا واحد، وكما تعلمون أن النوم يرتبط بالضوء وبالظلام، ولا يوجد ظلام وإنما الوقت كله ضوء.

أريد أن أخلص من ذلك فأقول: إن الرأي الآخر للفقهاء يقول: إن من يعيش في تلك البلاد التي لا يوجد فيها غروب شمس ولا طلوع شمس أن يستطيع أن يسير على أوقات أو على توقيت أقرب بلد مسلم فيه غروب وشروق حقيقي للشمس، لكن نحن أخذنا بالتقدير لأنه في حديث الدجال كما تعلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: فاقدروا له أو ما هذا معناه، فأخذنا به.

لكـــن الموضـــوع ليس موضوع هذا الذي صادفنا، نحن جئنا لمدة قصيرة، لكن ماذا يفعل السكان هناك؟

وهـــي مدينةفـــيها مســـلمون، المســـلمون أقلية لكن فيها مسلمون، ماذا يفعلون بصيام رمضان؟

ماذا يفعلون بصيام النذر؟ ماذا يفعلون بعدة الوفاة؟ وماذا يفعلـــون بعـــدة الطـــلاق؟ لأن الأيام الحقيقية معدومة. وماذا يفعلون بكثير من الأشياء المترتبة على الأيام والليالي؟

لذلـــك الفقـــيه يجب أن يطلع على هذه الحالة ثم بعد ذلك يجتهد فيما ينبغي أن يفتي به الناس.

الرحلات أيضاً يستفيد منها الباحث التاريخي لأن الراحل إذا قال ذهبت إلى هناك وقابلت فلاناً وفلاناً، فهو يفيد بأن هذا الرجل كان موجوداً، وربما يصف الرحالة بعض صفات هذا الـــرجل أو يتكلم على بعض مزاياه؟ أو يتطرق إلى نقطة تهم الباحث التاريخي.

هنالك الباحث اللغوي:

فالـــرحلات القديمـــة أيضاً زاخرة بالمصطلحات وكذلك ببعض الكلمات التي لا تستعمل إلا في البلاد الموجودة هناك، وقـــد اســـتفدت أنا فيما يتعلق بالبحوث التي كتبتها عن اللغة، اللغـــة بمعنى أصول الكلمات العامية الموجودة مما ذكره ابن بطوطة، فقد تكلم عن ألفاظ لم أرها في غيره.

فمثلاً هو ذكر الكليجا؛ الكليجا هذا يعمل في القصيم أول ما عرف وهو شبيه بما يسمى بالبسكوت وهو طعام محلى.

فلـــم أجد أحداً ذكره إلا ابن بطوطة ذكره قبل سبعمائة سنة، كذلـــك ذكر أشياء كثيرة، هذا أمر واسع لا أريد أن أعطيكم أمثلة كثـــيرة عليه، لئلا أطيل عليكم، ولكن أيضاً الرحلات تهم طوائف مـــن الباحثيـــن مـــثلاً من ذلك الرحلات المتعلقة بالحج هي تهم الباحث بالخطط والباحث في المسالك وفي أحوال الممالك لماذا؟

لأننا رأينا ابن جبير رحمه الله يسافر من بلده في الأندلس فـــي شهر ربيع الأول على أمل أن يلحق بالحج على أمل أن يؤدي الحج في ذلك العام لكي يدرك الحج في عامه ذلك.

وابـــن بطوطـــة أكثر من ذلك سافر في جمادى الأولى من بلدته التـــي هـــي طـــنجة في المغرب، ولكنه لم يدرك الحج في ذلك العام

مــرت عليه ثمانية شهور في سفره، ولم يدرك الحج، والسبب في ذلك أنــه لــم تكن توجد قوافل تقوم من تلك البلاد البعيدة مباشرة إلى مكة المكــرمة، وإنمــا على من يريد أن يحج أو يعتمر أو يذهب إلى مكة المكرمة أن يبحث عن قافلة مسافرة إلى جهة مكة إلى بلد يبعد عشرة أيــام أو خمســة عشــر يوماً أو سبعة عشر يوماً، ثم بعد ذلك يجلس ينــتظر إلى أن يجد قافلة أخرى فيذهب معها إلى بلداً آخر أقر ب في اتجاه الذهاب إلى مكة المكرمة.

وقــد حصــل لأكــثرهم أن اعتدى عليهم اللصوص أو الأعــراب وقطاع الطرق، فابن بطوطة وكذلك أكثر من واحد غــيره، لكن أنا استشهد بابن بطوطة لأنني قرأت وقرأت عن غيره لكنني استشهد به أنه خرج عليه اللصوص وأخذوا جميع مــا معــه فلم يبق معه قرش أو فلس، كما يقال في القديم من أجــل أن يسافر به يعطي القافلة التي بعد تلك المدينة أو تلك المنطقة أجرة ركوبه معها، فماذا يصنع؟

ذهــب واشــتغل عــاملاً ثم ذهب إلى أهل الخير، وأخذ يجمــع، بقي شــهرين أو ثلاثة إلى أن وجد قافلة بعد أن جمع الكراء الذي يلزم للقافلة.

هكــذا كانــت الرحلات تصور حالة البلاد وحالة الأمن وحالة المسالك وحالة الممالك.

والحديث عن الرحلات ربما يكون حديثاً طويلاً لو أردنا استيعابه ولكننا أردنا الإشارة، إنما نأتي بعد ذلك إلى الرحلات التي كانت هي مقصود أخينا وصديقنا الدكتور عبدالله الرميان باقتراح هو الذي اقترحه عليَّ أن يكون الكلام هذا الذي أسماه محاضرة جزاه الله خيراً أن يكون عنوانه "حصاد الرحلات".

فـأريد أن أتكلم باختصار وأرجو عدم المؤاخذة إذا كنت تكلمت أكثر مما ظننتم أو إن كنت اقتصرت أكثر مما قدرتم، فـأقول إننـي عـندما التحقت بالجامعة الإسلامية في المدينة المـنورة في عام ألف وثلاثمائة وإحدى وثمانين كان التحاقي وتعيينـي حسـب أمر الملك سعود رحمه الله في عام ثمانين وثلاثمائـة وألـف، ثم بعد ذلك أخذنا في الاستعدادات إلى أن فتحـت في عام ١٣٨١هـ تحت رئاسة سماحة الشيخ محمد بـن إبراهيم رحمه الله، ونائب الرئيس فيها هو سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله وجزاهما خيراً.

كـنا هدفنا منها أن تكون خاصة بأبناء المسلمين من غير السعوديين، لأنه في ذلك الوقت كانت توجد كليات شريعة في مكـة المكـرمة فـي جامعة أم القرى قبل أن تسمى جامعة، وكذلـك كانت توجد كلية الشريعة في الرياض قبل أن تسمى جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكان اسمها رئاسة

الكليات والمعاهد العلمية وفيها كليتان آنذاك.

رأيـنا بتوجيه من الملك سعود رحمه الله وبعد أن عقدت لجنة من مستشاري الديوان الملكي، عقدت في الديوان الملكي فـي ذلك الوقت أي في عام ألف وثلاثمائة وثمانين، رأينا أن تكـون الجامعة الإسلامية في المدينة خاصة لأبناء المسلمين من غير السعوديين.

فـي ذلك الوقت لم يكن الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله قـد عيـن لأنه عين قبل افتتاح الجامعة لكن ليس من أول وقت، وإنمـا الاستعدادات كانت استعدادات شكلية، كانت بدأت وتقرر أن جمـيع المقـاعد فـي الجامعـة الإسلامية مخصصة لأبناء المسـلمين من غير السعوديين، من أجل توفير التعليم الديني لهم فـي المديـنة المنورة الذي يترتب عليه أيضاً الإقامة في المدينة المـنورة والصـلاة في الحرم الشريف وما يترتب على ذلك من الخير والاجتماع بإخوانهم في الإسلام من أنحاء العالم.

وهذا أمر الحمدلله تحقق ويتحقق، ولكننا اختلفنا هل تكون جميع المقاعد مخصصة لأبناء المسلمين من خارج المملكة أم يكون فيها جزء للسعوديين.

فـي الحقـيقة اتفقنا بعد ذلك وأقول اتفقنا لأننا كنا خمسة كـان معناشـخص قانونـي اسـمه عبدالمنعم مصطفى وهو

مصـــري، كـــان قـــبل ذلك رئيس وفد مصر عند هيئة الأمم المـــتحدة فـــي جنيف في السابق والثاني الذي معنا هو الشيخ يوســـف ياسين رئيس الديوان الملكي في ذلك العهد والأستاذ عـــبدالعزيز المعمر المستشار والوزير في ذلك العهد والأستاذ محمود زيني مدير ديوان الموظفين العام.

واتفقـــنا بعد مباحثات أن تكون نسبة السعوديين ٢٠./.، ولا تزيد من أجل أن يستفيد منهم الطلبة الأجانب في الحديث باللغـــة العربية وربما يحتاج الواحد منهم أن يسأل عن أشياء أو يـــتعلم أشـــياء دينيةعـــن طريق الممارسة أو عن طريق المعرفة الشخصية.

فتحنا الجامعة هي مخصصة على هيئة منح كلها إلا ٢٠./..

فكانـــت تأتينا من بعض البلدان شهادات وأسماء مدارس وأسماء معاهد، وبعضهم يسمي تلك المدارس كليات لا نعرف عنها شيئاً ولا نستطيع أن نعادل شهاداتها لذلك تقرر أن يكون هنالك أول بعثة تسافر إلى أفريقيا، لهذا الغرض ولغرض أهم وهو أن بعض البلدان المحتاجة للتعليم الإسلامي لا يأتي منها طلبات وبالتالي لا يكون منها طلبة في الجامعة الإسلامية.

فعرضت الفكرة على الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله

وكـــان فـــي ذلك الوقت نائباً للملك، وكان الملك هو الملك سعود رحمهما الله.

كـــان الملـــك فيصل رئيس الوزراء ونائب الملك فحبذها ووضـــعت أنـــا خطة عرضها على الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمـــه الله أقرها في الجامعة ثم رفعناها لسماحة الشيخ محمد بـــن إبراهـــيم فأقـــرها ورفعها للأمير فيصل في ذلك الوقت، فوافـــق علـــى الخطة، وأعطانا مبلغاً من المال وأن أكون أنا رئـــيس أول بعـــثة تذهب إلى هناك وأن اختار اثنين فاخترت معـــي الشـــيخ أبابكر جابر وفقه الله وقواه وهو الآن على قيد الحياة، وإن كان قد أصابه التقدم في السن، وكذلك الشيخ عمر محمد فلاته وقد توفى رحمه الله قبل أربع سنين أو نحوها.

وذهبنا إلى أفريقيا وأعطانا الملك فيصل رحمه الله بعض المال لنوزعه على الجمعيات الإسلامية المحتاجة، وأذكر من بـــاب ذكـــر الحقائق ومعرفة الفضل لأهله أنني مررت على الشـــيخ محمد سرور الصبان وزير المالية وهو معروف ربما الجـــيل الجديد لا يعرف أشياء كثيرة عنه وكان وقتها أي في عـــام ١٣٨٤هـــ الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي فأخبرته أنني سأذهب إلى أفريقيا، وأحببت أن أسلم عليه وأخبره بذلك، وربمـــا يحـــتاج الأمر إلى شيء هو يطلبه، لأنهم كان عندهم

شيء من الاتصال يحبون الاتصال بالعالم وإلا في ذلك الوقت عـــام ألـــف وثلاثمائة وأربعة وثمانين لم يكن لهم اتصال كما للـــرابطة من الاتصالات القوية الآن، ميزانيتهم كانت مليوني ريـــال فقـــط، فـــنادى شخصاً عنده اسمه عبدالصمد مختصاً بالشـــئون المالـــية وقـــال له: يا فلان هات عشرة آلاف ريال وأعطهـــا للشيخ العبودي، كانت عشرة آلاف ريال لها أهمية في ذلك القوت قلت له: لماذا؟

قال: هذه اصرفها في المصرف الذي أمرك الملك فيصل أن تصـــرف النقود التي معك من الدولة، قلت له الملك فيصل لم يحدد لي كيف نصرفها.

قال: سو بها مثلها، وقال لنا يعتذر إن ميزانية الرابطة هي مليونان فقط وأحياناً تتأخر، وهذه فيها خير وبركة إن شاء الله.

وذهبـــنا إلـــى إفريقيا وأذكر أننا عندما وصلنا إلى كينيا كانـــت هـــناك مدرســـة إسلامية للبنات فزرناها لأننا اتصلنا بالجمعـــية الإســـلامية وطلبـــنا من كبار المسلمين أن نزور الجمعـــيات والمســـاجد فوجدنـــا امـــرأة تدرس البنات الدين الإسلامي وهذا أمر مهم جداً في بلاد كانت مستعمرة بريطانية ونحـــن وصـــلنا إليها بعد الاستقلال بسنة واحدة، بعد استقلال كينـــيا كان رئيسها في ذلك الوقت جومو كنياتا، واليوم قرأت

خبراً في الجريدة عن ابنه أنه كان سياسياً هزم في الانتخابات التـــي ظهـــرت نتيجتها أمس في كينيا ولكن هذا الرجل نحن نعرفه، ولأننا ذهبنا إلى هناك.

أنا لما ذهبت وجدت أن كثيراً من الأشياء التي يزعم أنها حقائق ليست واضحة في أذهاننا، وأننا في الحقيقة ليست لدينا معلومات كافية.

لذلـــك كتبت يوميات عن هذه الرحلة ثم بعد ذلك لما جئنا قدمـــنا تقريرنا إلى الملك فيصل، وكان الملك فيصل قد أصبح ملـــك المملكة العربية السعودية لأننا في الخارج عندما رجعنا كـــان قـــد بويع ملكاً وأرسلنا التقرير وطلبنا في التقرير زيادة مـــال للجمعيات الإسلامية و اقترحنا اعتماد وظائف لخمسين داعية وزعناهم على أفريقية.

كذلـــك اقترحـــنا في التقرير المذكور أن تقدم الجامعة منحاً دراســـية لأبناء المسلمين كل بلد قدرنا له عدداً منها فوافق الملك فيصـــل رحمـــه الله رغم الحالة المالية غير المزدهرة، وأستطيع أن أقول الحالة المالية المتردية للمملكة في ذلك الوقت.

وربمـــا أقص عليكم بعد ذلك شاهداً لأنني بعد ما رجعنا من أفريقـــيا وقدمـــنا تقريـــرنا ووافق عليه الملك فيصل ذهبت إلى

هـناك مرة ثانية في عام ست وثمانين وثلاثمائة وألف وحدي ما معـي إلا الأسـتاذ عـبدالله بـن حمـود الباحوث وكان رئيساً للمحاسـبة في رابطة العالم الإسلامي وكان معي نقود أكثر وهو رجل كريم وعنده نخوة وجيد فأخذته معي وذهبنا إلى هناك.

وأيضـاً كتبت يوميات عما شاهدناه لأن هذه اليوميات التي أتيـت بها في الرحلة الأولى وجدتها مفيدة فائدة كبيرة لأنني كنت أرجع إليها في العناوين والأمور المتعلقة بالجمعيات الإسلامية.

وعـندما رجعت من الرحلة الثانية وسلمت على سماحة الشـيخ محمد بن إبراهيم جرى حديث بيني وبينه طويل عما شاهدناه ورأيناه وبعضه فيه طرافة عجيبة.

وهـو طـريف من الطرافة مثلاً قال لي الشيخ محمد بن إبراهـيم رحمه الله من رأيتم من الأشخاص الذين رأيت أنهم يحـبونكم ويساعدونكم أو على الأقل لا يضايقونكم، قلت له: والله يـا سماحة الشيخ، نحن رأينا أن أكثر العداوة جاءت إلينا مـن الأفريقي غير المسلم أما الأوربي غير المسلم فكان في كثـير مـن المواطن يساعدنا، قلت وأما الأفريقي المسلم فهو أخونـا وجدنـا منه المساعدة ووجدنا منه المعاضدة، ولولا توفـيق الله لـنا للعثور على شخصيات منهم لما استطعنا أن ننجز مهمتنا، ففكر الشيخ قليلاً وقال: نعم.

المسلم الأفريقي بينكم وبينه رابطة الإسلام، والكافر الأبيض بينكم وبينه رابطة اللون، وأما الكافر الأسود فليس بينكم وبينه رابطة من هذين.

هذه من الطرائف، والآن الذي يذهب إلى أي جهة كما ذهبنا ربما يحس بما كنا أحسسنا به.

المهم الجد أننا بعد ذلك قال لي الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله وكان في الرياض؛ لعلي أذهب أنا وإياك ونسلم على الملك فيصل وتخبره بما قابلت في الرحلة.

قلت له هذا جيد وجزاك الله خيراً.

ذهبت أنا وإياه إلى مجلس الملك فيصل وكان يسمى مجلس الوزراء وهو قصر يسمى القصر الأحمر معروف الآن أزيل لكن منطقته موجودة ليست بعيدة من المربع.

حضرنا مجلس الملك فيصل رحمه الله كان ذلك في الصباح، وكان حافلاً إلى حدود العاشرة أو العاشرة إلا ربع ضحى وبعد ذلك ينتقل إلى مكتب صغير لأجل المعاملات أي إنهاء المعاملات لا يكون عنده إلا رئيس الديوان في ذلك الوقت وهو صالح العباد ربما تعرفونه قبل الشيخ محمد بن عبدالله النويصر.

قال الشيخ ابن باز: هذا الشيخ محمد العبودي قادم من

أفريقـــيا وعنده غرائب عن حالة المسلمين هناك فربما ترون أنه يتحدث معكم قال: تفضلوا.

فدخلـــنا إلـــيه وخـــرج صالح العباد لم يكن عنده إلا أنا والشيخ عبدالعزيز بن باز، وحدثته حديثاً كثيراً، ولكن كنت أنا متحمســـاً من تأثير ما رأيته أول الأمر قلت له يا طويل العمر المسلمون أيتام، ما لهم من يساعدهم إلا الله ثم أنتم.

قال صحيح من يساعدهم؟

وهـــذا صحيح أتساعدهم الدول الكافرة؟ لا يمكن، الدول المسلمة ضعيفة.

قلـــت: ولكـــنهم أيتام يريدون المساعدة المالية والثقافية، فتحمس الملك فيصل وانفعل وليس ذلك من عادته وقال: أنت تـــدري يـــا الأخ أننا الآن ننفق من الاحتياط وميزانية الدولة انتهت، وكان قد بقي على نهاية الميزانية في المعاد شهرين.

ومـــع ذلك كان وافق على اعتماد وظائف خمسين داعية كـــانوا أول دعـــاة ذهبوا من المملكة ووافق على المقترحات كلها بدون استثناء.

نعـــود إلـــى موضوع الرحلات عندما كنت في الجامعة بعد ذلك بفترة، وكنا ألفنا في الجامعة لجنة لمجلة الجامعة الإسلامية،

سـمينا المجلة (مجلة الجامعة الإسلامية) بهذا الاسم ليس لها اسم خـاص، وكان من بين الذين يعملون فيها الأستاذ محمد المجذوب وهو أديب وكاتب إسلامي معروف وهو سوري.

فقـالوا نحن نريد بحثاً أو بحوثاً عن إفريقيا، فقلت: أنا كتبت أشـياء ولكن لا أدري أترون أنها مناسبة لأنهم لجنة ولا أحب أن أنفرد وإلا أنا كانت وظيفتي (الأمين العام) التي تلي وظيفة نائب الرئـيس، فقـرأها الأستاذ المجذوب وقال هذه لابد منها وقرأها غـيره مـن الأعضـاء أعضاء اللجنة ونشرنا منها عن روديسيا ونشرنا منها عن زامبيا ونشرنا عن بعض الحالات.

وقال لي بعض الأخوان هذه ينبغي أن تكون كتاباً، أنا في الحقيقة لم أفكر في أن تكون كتاباً.

وكـان ذلك أن طبعت وصارت كتاباً عنونته بعنوان (في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسـلمين)، فكـان هذا هو أول كتاب في الرحلات عندما طبعـته كنت مشفقاً أن لا يشتريه أحد لماذا؟ لأنه في الحقيقة مشاهدات واستنتاج من هذه المشاهدات.

ولكن كثيراً من الأخبار التي هي فيه أو كثير من الأشياء التي هي فيه لا توجد في كتاب آخر ليس معنى ذلك لأهميتها ولكن لأنها أحوال حاضرة لم تدون.

ثـم هـنالك فوجئـنا بشيء آخر عجيب وهو يدل على أن الإنسـان لا ينبغـي أن يعـول فـي أخبار المسلمين على غير المسـلمين، فقـد وجدنا أن الأخبار والإحصاءات والتقارير التي نشرها الغربيون عن أحوال المسلمين أغلبها غير صحيح.. لماذا؟

لأن الغربييـن إما أن يكون الشخص منهم متعصباً لدينه وهذا هو موجود، وإن لم يكونوا كلهم كذلك.

وإما أن يكون حر التفكير متجرداً من التعصب وهذا هو موجود عندهم وإن لم يكونوا هم الكثرة ولكنه تنقصه الوسائل للحصول على هذه المعلومات، فإذا جاء إلى بلد مثلاً روديسيا التي استشهدت بها أو زامبيا أو تنزانيا أو لسوتو أو سوازلاند لا يكـون له الإمكانـات التي تجعله يتصل بالمسلمين وتجعل المسـلمين يثقون به لذلك يأخذ أحوال المسلمين يتناولها تناولاً من تقارير الحكام في ذلك الوقت.

ولذلـك وجـدت الـذي عندنا يخالف كثيراً من التقارير الموجودة ونحن على يقين منه لأننا ذهبنا إلى هناك وشاهدناه ولـم أكن وحدي الذي شاهدته وإنما معي في الأولى إثنين من المشايخ وفي الأخيرة زميلي رجل مالي هو الأستاذ عبدالله بن حمود الباحوث رحمه الله.

لهـــذا صِـــرت أكتب لأني لقيت تشجيعاً من الناس حتى الدوائر الحكومية اشترت نسخاً من الكتاب يعني لابد من ذكر هـــذا لأن الإنســـان إذا ألف كتاباً ولم يبعه ولم يشتره أحد لم يكتب كتاباً آخر، هذا أمر طبيعي.

فاســـتمرت هذه الرحلات واستمرت كتابتي، ومن لطيف صـــنع الله سبحانه وتعالى لي أن جعل عملي في مدة أربعين ســـنة بـــل ثـــلاث وأربعيـــن سنة في ميدان واحد هو ميدان الاتصال بالإخوة المسلمين، فكنا طيلة هذه السنوات كنا نذهب إلى المسلمين في أنحاء العالم، وكنا نقوم بمهمات ومن نعم الله عليـــنا أننـــي كنت أحمل دائماً الخير الذي يأمر به قادة بلادنا لمساعدة المسلمين.

وأول مـــن فعل ذلك الملك فيصل ثم الملك خالد، أما في عهـــد خادم الحرمين الشريفين فإن العمل في عهده نما وزاد، وأنـــا حملـــت نقوداً كثيرة إلى المسلمين ربما بعضها لا ينشر عـــنه شـــيء لأنه لم يكن قادتنا يريدون من ذلك الإعلان عما فعلـــوه للمسلمين، وإنما كنا نريد من ذلك القيام بالواجب تجاه الإخوة المسلمين.

الـــرحلات التي قمت بها ولكي أوضح هذه الكلمة أقول: إنني لم أقم بها من منزلي بمعنى أنني كنت مثلاً تاجراً فهيئت

هــذه وتحملت نفقاتها أو أنني كنت متقاعداً وذهبت وإنما كنت أقــوم بواجبي وأتقاضى عليها مصاريف سفرية كما تعلمون، وأقــوم بما يفرضه عليَّ الواجب لكن كنت أجتهد في أن أقوم بأكــثر من الواجب وكنت إلى ذلك بدافع طبيعة فيَّ هي التي يسميها القدماء الفضول أو اللقافة باللغة العامية.

وهــي أنني إذا أتيت بلداً فيه مهمة ذهبت إليها كأن تكون المهمــة حضــور مؤتمر أو عقد اجتماع أو الإسهام في دفع نفقــات لمشــروع سلامي، فإنني لا اكتفي بزيارة ذلك البلد، وإنمــا فــي الطريق إليه أو في الصدور منه بعد الانتهاء منه أمر على بلدان أخرى.

وأعتــبر أن هــذا من عملي لأنني ليس لي عمل إلا أن أتصــل بالجمعيات الإسلامية وأطلع على مشروعاتها، وأرى أعمالهــا، وأســأل عــن الحــركة الإسلامية ماذا يكتنفها من معوقات أو مشجعات.

ثــم إننــي أقــدر الوضع السياسي بالنسبة للمسلمين بدون الــتدخل في الشئون السياسية الداخلية لهم، واكتب هذا في تقارير وبعضــه أكتــبه فــي الكتب، فنشأ هذا المقدار الكبير التي كرم أخونا الدكتور عبدالله وذكره ولم يبق بلد ولله الحمد لم أزره.

أقول لم تبق جهة إلا وقد زرتها أو دولة ولكن تعلمون أن أرض الله واسعة ﴿**وما يعلم جنود ربك إلاَّ هو**﴾.

فأنـــا إذا زرت المملكة العربية السعودية زرت جدة، زرت الـــرياض زرت الجـــوف، ولا زرت جيزان قلت زرت المملكة العربـــية السعودية أنا في الحقيقة ما زرتها يعني كلها إنما زرت أماكـــن منها ولكنني كنت أحرص أن أزور أكبر موقع أو مواقع تمكنني زيارتها لهذا الغرض ولهذا الهدف الذي ذكرته.

مـــآزق الـــرحلات كثـــيرة طبعاً والمعوقات كثيرة ولكن الله ســـبحانه وتعـــالى إذا أراد أمراً هيأ أسبابه وقد مَن الله علينا بأن كفانـــا شـــر المعوقات التي توقفنا عن العمل، المعوقات بالخدوش التـــي تصيب الجسم ثم تبرأ بعد ذلك، لكن الأمور الكبيرة الحمدلله عافانا الله منها، واستمر سفري إليها لهذه المدة الطويلة.

كثـــيراً مـــا كنت أسمع من بعض إخواننا وبخاصة الذين يســـتمعون إلى البرنامج الذي ألقيه في الإذاعة أو حتى الذين قـــرؤوا بعض كتبي أن يقولوا نحن نريد أن نرحل إلى مثل ما رحلت أنت فماذا نصنع؟

بطبـــيعة الحال أنا لا أستطيع أن أقول أو غيري أن أقول إنـــه ينبغي أن تذهبـــوا إلى جمـــيع أنحاء الأرض وإنما أقول إنـــه يمكـــنكم أنتم وغـــيركم أنتم ومن يريد مـــن غيركم أن

يذهب ولكن يبدأ بما يستطيع الذهاب إليه.

يستطيع أن يذهب إلى بلد قريب، يستطيع أن يجمع تبرعات من بعض إخوانه، وإذا لم يكن عنده حسن تقدير للأمور يعني لا يعرف من نفسه أنه يستطيع تقدير الظروف السياسية وبخاصة في هذه الظروف الحالية التي تكالبت فيها الأمم على المسلمين وأخذوا يفترون عليهم حتى أن أي حركة لأي شخص من المسلمين في بلادهم يقولون هذا، أما إنه يمول الإرهاب وإلا يقولون إن هذا رجل ليس موثوقاً به بالنسبة إليهم.

فالرجل الذي يعرف من نفسه أنه قادر على التخلص من هذه الأمور من السهل عليه أن يجمع بعض التبرعات أو بعض الكتب في وقت الإجازة يذهب ويكون هذا بداية لعمله، ولا شك أنه إذا أحسن النية فإن الله سبحانه وتعالى سوف يوفقه في الدنيا ويجازيه على حسن نيته في الآخرة.

بالنسبة للكتب التي صدرت ذكر الأخ رقماً كبيراً وهو مائتا كتاب هذا صحيح إذا أضيف إليه كتب غير الرحلات، أما كتب الرحلات فهي مائة وواحد وسبعون فقط، أما البقية فهي كتب في غير الرحلات ولكن بعضها كبير مثل (معجم بلاد القصيم) في ستة مجلدات وأنا أتحدث إليكم بهذا لأنني أعرف أنكم تحبون أن تسمعوا بعض هذه الأمور الثقافية.

وثانـــياً أن هـــذا من التحدث بنعمة الله، وأذكر أن الإمام السيوطي رحمه الله صنف كتاباً سماه (التحدث بنعمة الله) وقد ذكـــر فيه تصانيفه التي بلغت عندما كتب ذلك الكتاب مائتين وواحداً وثمانين كتاباً.

وهذا الكتاب من العجيب أن الذي نشره وحقق مخطوطته فتاة بريطانية حصلت على الدكتوراه بتحقيق ذلك الكتاب، لكن السيوطي بعد ذلك كتب كتباً كثيرة.

وكثـــير مـــن الناس كانوا يقولون له ابن الاسيوطي لأن شـــهرة والده (الأسيوطي). كان قاضياً في صعيد مصر، أما الســـيوطي اســـمه عبدالرحمـــن والده كان قاضياً وكان يملك أطـــياناً وهذا اصطلاح مصري، الأطيان الأراضي الزراعية المنـــتجة التـــي تغـــل على أصحابها فالاً، فورث عنه الإمام عبدالرحمـــن الســـيوطي هذه الأراضي، أو بعضها، فصارت عنده ثروة مكنته من أن يتفرغ لطلب العلم.

فكـــان يقول لتلامذته مثلاً اقرءوا كتب اللغة مثلاً أعطونا كتاب عن المجاز، أعطونا مثلاً كتاباً في غريب اللغة، ثم بعد ذلك هو يلقي عليه نظرة وينقحه وينسبه إلى نفسه.

هكـــذا قـــال بعض القدماء عنه، لكن بعضهم بينه وبينه عداوة كالإمام السخاوي وهذا أمر معروف وقد تكلم السخاوي

على السيوطي في الحقيقة بما لا ينبغي أن يتكلم عنه رحم الله الجميع وسامح المخطئَ منهم.

ونجد بعد السيوطي شبيهاً له هو الإمام السيد صديق حسن خان وصديق حسن خان هو نوَّاب والنواب باصطلاح الهند هو الملك المسلم على مملكة صغيرة لأنه قبيل عهد الإنكليز كانت في الهند مملكات بعد ما كانت فيها إمبراطوريات يعني ممالك عظيمة تملك معظم الهند تحت حكم التيموريين؛ الذين يقال لهم المغول يسمون تيموريين لأنهم من فصيلة (تيمور لانك) تيمور الأعرج.

فهؤلاء بعدهم تفككت الهند إلى دويلات صغيرة، فالهندوكي الذي يحكم على مملكة صغيرة يسمى راجا أو مهراجا، والمسلم الذي يحكم على مملكة صغيرة يسمى نواب، صديق حسن كان طالب علم فقير وليس من سلالة حاكم، ولكنه اتصل بواحدة اسمها البيجم، بيجم جيهان وهذه كانت نوابا لأنها ورثت الحكم عن والدها فتزوجت بالسيد صديق حسن وفوضت إليه الأمر.

وهي أوقفت أوقافاً، وكذلك عدة أوقاف في مدينة بهوبال، فكان أيضاً يجتمع إليه العلماء وطلبة العلم، ونعرف ممن اجتمعوا إليه، ودرسوا عليه الشيخ إسحاق بن عبداللطيف بن عبدالرحمن

بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

وكذلك الشيخ سعد بن عتيق وطوائف من هنا من المملكة ذهبوا إلى الهند، وقرءوا على السيد صديق حسن خان بمعني تـــتلمذوا علـــيه، وكان أيضاً له تلاميذ وكان التلاميذ يهيئون الـــبحوث ربمـــا يكون هذا له شاهد من بعض الأساتذة الذين يكلفـــون تلامـــيذهم بـــإعداد بحوث، ولكن الموضوع اختلف، ولذلك كثرت تصانيف الشيخ السيد صديق خان رحمه الله.

وبهذا أريد أن أنهي هذا الحديث.

فـــي الحقـــيقة أن لا أريد أن أنهيه لأني أريد أن أتحدث معكم، لكن ربما كان الوقت قد ضاق لأني رأيت أحدكم ينظر إلـــى الســـاعة، ربما كان الوقت لا يسعفنا، لذلك ألتمس منكم العذر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تعقيب الدكتور الرميان:

عقب على ذلك الدكتور عبدالله الرميان، فقال:

شكراً الله لمعالي الشيخ هذه الكلمات الطيبة وهذا التذكير، وهـذه الذكـريات النافعة وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا جمـيعاً بمـا نسمع وبما نقول في الحقيقة حديث معالي الشيخ شـيق جداً ماتع، وأنا أظن وأتحدث نيابة عن عامة الحضور وإن لـم أسـتمع إلـيهم أن الجميع يريد الاستزادة من حديث الشـيخ، حـتى لـو طال الوقت لأنه مع الحديث الماتع ربما الوقت حتى لو طال كأنه قصير.

لكن لعل ذلك يعوض بالإجابة عن الأسئلة والاستفسارات التي وردت إلينا الآن.

الأسـئلة في الحقيقة كثيرة وبعضها أيضاً متشابه والكثير مـنها مـن إخـوة يـبدون محبتهم للشيخ والدعاء له بالحفظ والتوفـيق فنحن ننقل ذلك إليه، ثم بعد ذلك أبدأ بالأحاديث أو بالأسئلة التي كثرت وتكررت.

هـذا سؤال قد تكرر كثيراً، وهو يسأل فضيلة الشيخ أو معالـي الشيخ عن البرنامج الذي يذاع في الإذاعة مشاهدات حول العالم والمسلمون حول العالم. هل هنالك أشرطة مسجلة يمكن الحصول عليها لهذه الأحاديث؟

والجواب.

الحقيقة أن هذا سؤال سئلت عنه في أكثر من موطن بالهواتف والمكاتبات والحقيقة أنه لا توجد عندي هذه الأشرطة هذه الأشرطة لا توجد عندي لأنني بطبيعة الحال كما يقول المثل العامي (ما يجتمع تاجر ومنجم) فلا يمكن أن أكون أنا متحدثاً ثم أبحث في التجارة وبيع الأشرطة.. الخ. ولا أحسن هذا.

لكن عرض علينا بعض الأخوة أن يستغلها فقلت له لابد أن نعرف ما معنى الاستغلال؟ إذا كنت تريد أن توفرها لمن أراد أن يسمعها فهذا جيد وإلى الآن لم يتم شيء ولكن نرجو أن يتم لأن الأخوة كثر سؤالهم عن هذه الأشرطة.

وبعد ذلك قال الدكتور الرميان:

وكذلك سؤال أيضاً مشابه لهذا وهو يا معالي الشيخ يسأل عن كتبكم، إن عامة تلك الكتب التي تذكر في الرحلات وفي غيرها لا توجد في كثير من المكتبات يعني هل هناك مكتبات خاصة لبيعها أو أن الطباعة كانت قديمة ولم تعد الطباعة مرة أخرى؟

فأجاب الشيخ العبودي على ذلك بقوله:

كثير من الكتب بل كل الكتب التي طبعت لي ما عدا

واحـــداً الآن كلهـــا بعنا منها نسخاً كفت المصاريف التي أنفقناها علـــيها وهذا هو الغرض المقصود من ذلك تبقى نسخ أنا أعطي كـــل من طلب مني شيئاً من النسخ أنا أعطيه لكن لا أعطيه من الكتاب الذي لم أستعد المصاريف التي أنفقتها عليه.

وهذه الكتب موجودة الآن اتفقت منذ سنتين أو سنة ونيف مع مكتبة العبيكان على بيعها لأن لها فروعاً، وأنه يفترض أن تكـــون موجودة فيها وأن أي شخص يرغب على أن يحصل على شيء منها فأنا مستعد أن أهديه إليه هدية وشكراً.

قال الدكتور الرميان:

هذا سؤال أيضاً في الحقيقة تكرر ولعلي أجيب نيابة عن الشـــيخ وهـــو يســـأل عـــن بعض المؤلفات التي لم تكن في الرحلات، فأذكر بعض هذه المؤلفات، أما ما يتعلق بالرحلات فالمطبوعة فيها ما يتعلق بها الرحلات فقد قسمت إلى القارات وهـــي كثـــيرة جداً لا مجال لحصرها ولا للوقوف معها وهي بيـــن يدي كثيرة جداً لا مجال للوقوف معها لكن أذكر بعض هذه الكتب وقد ذكر الشيخ بعضاً منها.

- معجم بلاد القصيم (ستة مجلدات).
- الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة (سبعة مجلدات).

- الأصـــول الفصـــيحة للألفـــاظ العامـــة والدارجة (ثلاث عشر مجلداً).
- تكملة المعجم اللغوي في جزيرة العرب (سبعة مجلدات).
- كلمات عامية انقرضت (مجلدان).
- باقة من رياض الصالحين- وغيرها من هذه المؤلفات.

ســؤال آخــر: سؤال أيضاً يقول أين كانت آخر رحلة لكم حول العالم وحبذا لو ذكرتم لنا موقفاً طريفاً من خلال هذه الرحلات؟

أجاب الشيخ محمد العبودي:

أنـــا قلـــت في مناسبة سابقة إننا لم نكن نذهب لكي نسجل طـــرائف، إنما كنا نذهب لنقوم بعمل لكن أحياناً الطرائف تفرض نفســـها وهـــي كثيرة وربما لا يتسع المقام لذكرها ولكن غرايب، مـــثلاً كثـــير مـــنهم يسألوني أنت من أي بلد؟ فأقول: أنا عربي، فيقولون: عربي، نعم كأن السائل فهم أن العربي هذا عدد محدود لا يعرف أن العرب مصطلح من الخليج إلى المحيط.

ثانـــياً أنـــا عندما ذهبت مرة إلى فيجي، وجزر فيجي في جـــنوب المحيط الهادئ وجدت أن عند حكومتها إخبارية أنني قد قدمـــت إلـــيهم من أجل أن أساعد أو أن أعمل مع الذين يعملون ثـــورة ضـــد الحكومة، والسبب في ذلك أنه صادف أن الحكومة الأســـترالية قبضـــت على باخرة في أحد موانئ استراليا محملة

بالأســلحة ومتجهة إلى فيجي هذا قبل ما أصل إليهم بنحو عشرة أيــام فظنوا أن لي علاقة بذلك وأوقفوني وحققوا معي فقلت لهم: نحن من المملكة العربية السعودية والمملكة العربية السعودية لا يمكن أن تتدخل بأي شكل من الأشكال في هذا، وليس لها سابقة فــي هــذا بل إن معاملاتها كلها خير لا يمكن لبلد أن يتعامل مع المملكــة العربية السعودية إلا وينال خيراً على الأقل يكتفي من شر الآخرين الذين تدفع عنهم المملكة شرهم.

وبعد محاولات طويلة اقتنعوا.

فــيه أشياء كثيرة من الطرائف ومضحكة ولكن لا أرى أن المقام يليق بأن أذكرها.

أيضاً هذا السؤال السائل يسأل معالي الشيخ وهو أنكم لم تكتبوا في الرحلات إلى البلاد العربية؟

فأجاب الشيخ:

هــذا سئلت عنه كثيراً ولكن قلت أن البلاد العربية بيتي والــرجل لا يكتب عن بيته لا يكتب عن أهله وإنما أنا تعمدت أنــا أكتب عن الزوايا الخفية من العالم، ومع ذلك كتبت كتيباً عن موريتانيا اسمه (إطلالة على موريتانيا) وكتبت كتاباً عن زوايــا في المملكة المغربية، أسميته (الإشراف على أطراف

من المغرب العربي) لماذا؟

لأنني ذهبت إلى الصحراء الغربية إلى عيون الساقية الحمراء التي هي عاصمة إقليم الصحراء وهذه تعتبر أطرافاً وغريبة لا يعرف عنها شيئاً كثير من الناس وهي أطراف المملكة المغربية.

وأما موضوع البلدان العربية مثلاً مصر والشام فلم أكتب عنها شيئاً، الإنسان لا يعرف أهل بلده ببلده هذه مفتوحة ومعروفة وقريبة ولا أقول معروفة لكل الناس ولكن لمن يريد أن يعرف عنها شيئاً.

ولكن لابد من أن أسأل أحدكم إذا كان في مكاني وأضرب له مثالاً على ذلك قبل مدة يسيرة بالنسبة إلى طول الرحلة منذ سنتين ونصف ذهبنا إلى دولة تقع شمال استراليا اسمها بابوانيوغني ترجمتها الحرفية باوا أو غنيا الجديدة، وغينيا التي سميت باسمها في زمن الاستعمار نيوغيني فقط أي غينيا الجديدة، وغينيا التي سميت باسمها المقصود بها غينيا في غرب أفريقيا، وذلك أنه عندما وصل الأوربيون إلى هناك أسموها غينيا الجديدة لأن أهلها ألوانهم كألوان الأفارقة وأشكالهم كأشكال الأفارقة.

ولكـــن المستعمرين البريطانيين أرادوا أن ينسحبوا منها فعملوا قبل أن ينسحبوا ترتيبات لتكون مع استراليا فيما يسمى أسوسيشـــن يعنـــي التعاون السياسي مع استراليا حتى تستعد للاســـتقلال، ثـــم استقلت بعد ذلك وقد كان استقلالها قبل نحو ثماني سنين أو سبع، فوصل إلينا أن فيها حركة إسلامية قوية وسببها شخص واحد اسمه ميكائيل عبدالعزيز من إخواننا أهل غرب نيجيريا من اليوربا هذا الرجل جعل الله سبحانه وتعالى فيه بركة فعمل عملاً إسلامياً مثمراً ناجحاً في الإسلام.

وقـــد ذهبـــنا إلـــى هناك وكتب لنا لأنه من تلاميذنا في الجامعـــة الإســـلامية فـــي المدينة المنورة ومبتعث من الشيخ عـــبدالعزيز بـــن بـــاز رحمه الله للدعوة في تلك البلاد والآن بطبيعة الحال تعلمون أن الدعاة الذين كانوا لدى رياسة الشيخ عـــبدالعزيز الآن هـــم تـــابعون لـــوزارة الشـــئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

فذهبـــنا إلـــى هناك قبل سنتين ونصف وفوجئنا بأن الإسلام دخـــل ولا أقـــول غزا الإسلام بل دخل أماكن في رؤوس الجبال يعنـــي أماكـــن بعـــيدة عن العاصمة تجد بعضهم قد بنوا المساجد والمســـجد يبـــنونه مما يبنون منه مساكنهم ومساكنهم يبنونها من مـــواد أشـــبه ما تكون بالقصب تشق وهي تخرج قضباناً طويلة

مستقيمة فيكون كل شق من القصب بمثابة لوح ويسمى (البامبو).

إلـــى أن تصبح كالجدار وأما السقف فإنه يكون على نوعين إما سقف من القش أو من الصفيح، وهذا الذي عليه مساجدهم.

ووجدنـــا شيئاً غريباً لم نكن نعرفه؛ بل لم نكن نتصوره، فأنا أقول في نفسي رحلة إلى هذه البلاد النائية ونحن قد أخذنا معنا من رابطة العالم الإسلامي مبالغ مالية ليست كبيرة ولكن أفضـــل من أن تتركهم بدون شيء فنعطي الجمعية الإسلامية المحـــتاجة للمساعدة، ونجد مسجداً متعطلاً مثلاً واحد أسلم ثم تعطلـــت وظيفـــته تعصب ضده الذين يعمل معهم، المهم أننا نعطيهم مبالغ من الرابطة ليس من جيوبنا.

فأيها أفضل أن أكتب عن الشام وعن مصر، أو عن مثل هذه البلاد؟ لا شك أن المفاضلة لا وجه لها.

ثم هنالك رحلة بعدها قمنا بها إلى بلاد تعتبر متقدمة من ناحية الإدارة والإختراع ولكنها في الحقيقة متأخرة من ناحية ما تقدمه لشعبها وهي روسيا.

ذهبنا إلى روسيا ووصلنا وهذا قبل سنة ونصف إلى ما يسمى الشرق الأقصى الروسي لأنه شرق روسيا البعيد.

وركبـــنا الطائرة نفاثة سريعة لأن طائراتهم أسرع قليلاً

من طائرات الغرب البونج وترايستار وما أشبهها.

واستغرقت الرحلة ثمان ساعات وأربعين دقيقة تسع ساعات إلا ثلثاً ونحن متجهون شرقاً حتى وصلنا إلى مدينة هناك اسمها (بتروبفلسكا) من مقاطعة كمشتكى ووجدنا فيها جمعية إسلامية لأن عندنا أخباراً أن فيها جمعية إسلامية تحتاج إلى مساعدة.

وجدنا أن الحاكم له صلة قوية بالجمعية الإسلامية وقد منحهم بالمجان أرضاً مهمة من الأراضي الحكومية في مكان من المدينة غالي الثمن.

ووضعوا حجر الأساس للمسجد وأنفقوا ما عندهم ألفين دولار وثلاثمائة دولار لأن روسيا تمر بضائقة اقتصادية، فلما جئنا إلى هناك ساعدناهم ولله الحمد بمبلغ خمسة آلاف دولار عاجلاً ثم أرسلنا لهم ثلاثين ألف دولار بعد أن عدنا إلى المملكة وبحثنا الأمر في الرابطة لكن الشاهد ليس هذا.

قال لنا الإخوة في الجمعية الإسلامية هناك وهم من أتقى الناس وبعضهم يسمع بعضاً ويزكي بعضهم بعضاً فيما يقول: إن مسجدنا في هذه المدينة اسمها بترو بافلوفسكا التي هي عاصمة كمشتكى إن أقرب مسجد إليهم من أرض روسيا يقع

علـــى بعد خمسة آلاف كيلومتر أي منطقة طولها خمسة آلاف كـــيلو متر ليس فيها مساجد، لأن تلك المنطقة لم تكن مسكونة من قبل، أي قبل ستين أو سبعين سنة.

وكـــان ذهابنا إليها في شهر يوليو ومع ذلك أصابنا برد شديد وكنا في المدينة نشاهد الثلج الأزلي على رؤوس الجبال الواقعـــة في المدينة والمحيطة بها، والثلج الأزلي كما يسمونه هـــو الذي لا يذوب أبد الدهر، ليس ثلجاً حصل بسبب الشتاء فإذا جاء الصيف ذاب.

وبعدهـــا ذهبنا إلى شمال سيبريا، ذهبنا إلى مناطق نائية علـــى حدود الدائرة القطبية فأيها أولى بالذهاب إليها؟ هذه أم مصر والشام أو ما قرب من تلك البلاد؟

ثم قال الدكتور الرميان:

هذا سائل يسأل عن الرؤية المستقبلية في نظركم لأحوال المســـلمين بعـــد الأحـــداث الأخيرة؟ ما هي الرؤية المستقبلية لأحوال المسلمين بعد الأحداث الأخيرة؟

فأجاب الشيخ العبودي:

لابـــد لمن يراد منه أن يتكلم عن المسلمين في المستقبل لابـــد له من أن يدرس الحاضر وأن يدرس الماضي ثم يقول

إذا استمر الحال على هذه فسيكون كذا وكذا.

لكـــن أن تسأل شخصاً وتقول له ما رأيك في المستقبل؟ هذا يحتاج إلى مقدمات ومعرفة ومقارنات، لكن نحن إذا قسنا المســـتقبل علـــى الحاضر وعلى الماضي نعجب عجباً عظيماً ونتيقـــن أن الإسلام سوف ينتصر؛ بل يزدهر وسوف يتوسع وأن المســـلمين ســـيزيدون، وأن النصر سيكون للمسلمين، لا تقـــول إنه بين ليلة وضحاها لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم**﴾.

ولابـــد للمســـلم أن يعمـــل بالأسباب. أنتم تعلمون قصة الصحابي الجليل الذي قال إنني خدمتُ الرسول صلى الله عليه وســـلم من ليل فقدمت إليه وضوءه أي الماء الذي يتوضأ به ونعلـــيه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم سلني حاجتك قال الصحابي فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أو غير ذاك؟ قلت هو ذاك يـــا رســـول الله فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أعني على نفسك بكثرة السجود.

الرسول كما تعلمون مستجاب الدعوة كما ورد في حديث عكاشـــة لكن مع ذلك أرشده إلى العمل، فإذا عمل المسلمون

عملاً طيباً تكون النتيجة طيبة، لكن هناك شيء عجيب.

الـــناس يقولون لماذا هذه الهجمة، بل الهجمات الشرسة على المسلمين وعلى الإسلام في الغرب؟

أنـــا أقول هذا علامة قوة لماذا؟ لأن الإسلام عندما كان ضعيفاً في الغرب، وكان المسلمون لا شأن لهم في تلك البلاد لا تجد أحداً يسأل عن المسلمين لا أحد يقاوم ولا أحد يرى أنه يحتاج إلى مقاومة.

أنـــا أضـــرب لكم مثلاً على ذلك واسمحوا لي إن طال عليكم الحديث لكن أرجو أن لا أطيل.

جـــاء إلـــيَّ أحد الإخوة في مكتبي في الرابطة قبل نحو أربـــع ســـنين أي قبل هذه الأحداث أو الهجمات الكبيرة على الإســـلام، وقال: يا أخي أنا جزائري هاجرت إلى فرنسا منذ ثمانـــية وعشـــرين عاماً، وفي ذلك الوقت عندما وصلت إلى فرنســـا مـــا كـــان فيه أحد يشك فيَّ وما كان فيه أحد يهاجم المســـلمين ولا أحـــد يضـــايق المسلمين، والآن تغيرت الحال فصـــاروا لا يريدونـــنا، هذا قبل هذه الأحداث، قال: وصاروا يهاجمون المسلمين في الصحف وفي المجلات.

قلت له: يا أخي وأنا أراه متضايقاً، قلت له يا أخي، أنا أريد أن

أســألك أســئلة، أنــت ذهبت إلى فرنسا قبل ستة وعشرين أو ثمانية وعشــرين عامــاً. قلــت له: كم كان عدد المساجد في باريس آنذاك؟ قــال: ما كان فيها إلاّ واحد هو مسجد باريس، وقلت له: والآن؟ قال: أنــا أعرف سبعة وستين مسجداً فيها، قلت له أي الأفضل الآن بالنسبة للمساجد، قال الآن أفضل، سبعة وسبعين أفضل من واحد.

طيــب عــندما جئــت أنت منذ ثمان وعشرين سنة إلى فرنسا هل رأيت أو سمعت أن المسلمين اشتروا كنيسة واحدة وحولوها إلى مسجد؟ قال: لا.

قلت: والآن عشرات الكنائس حولت إلى مساجد برضاء أهلهــا، وهذا شيء اطلعنا عليه لأن المسلمين يكتبون يقولون اشــترينا كنيســة نريد تحويلها لمسجد يبيعها أهلها، إما لعدم المصلين فيها، أو لكي يشتروا غيرها.

وقلت: كم عدد المسلمين في فرنسا في ذلك الوقت؟ قال لا يمكــن المقارنــة في ذلك الوقت كانوا (قليل) والآن بلغوا ملايين أربعة ملايين أو ثلاثة ملايين ونصف.

قلــت له تعال إلى الجزائر منذ ثمان وعشرين سنة في الجزائــر هــل كان فيها كنائس؟ قال عديد جداً، قلت له: هل حول مسجد في الجزائر منذ ثمان وعشرين سنة إلى كنيسة؟

قال: أعوذ بالله هذا لا يكون.

قلـــت له هـــل تحولـــت بعض الكنائس إلى مساجد في الجزائـــر؟ قال: نعم، كثير، لأنه لا أحد يتردد عليها، قلت: يا أخي لماذا تشكو إذاً؟

أنـــت تشكو لأن الإسلام صار قوياً ولذلك وجد مقاومة ووجد فيه أعداد الإسلام تحدياً لهم هذا هو السبب.

فإذا كنا سنحكم على المستقبل بالنسبة للماضي وللحاضر فلا شك أن المستقبل مشرق بإذن الله.

لكـــن لابد من تذكير المسلمين أن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمنـــي ولكـــنه كما قال الأصوليون: ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

وهنا قال الدكتور الرميان:

هذا سائل يسأل معالي الشيخ وهو عن المقارنة بين حال المســـلمين عـــند أول زيارة قمتم بها وحال المسلمين في هذه الأيام وفي هذا الوقت؟

أجاب الشيخ العبودي:

هـــذا سؤال في الحقيقة في الصميم، لماذا؟ لأنني زرت أماكن

عديـــدة مـــنذ فـــترة طويلة أنا قلت: إن أول زيارة كانت عام أربعة وثمانين يعني بقي سنة واحدة على تمام أربعين سنة عليها.

إذا جئت إلى بلد زرته قبل ثلاثين أو خمس وعشرين أو حـــتى عشـــرين سنة وجدت الأمور فيه عجيبة تغيرت تغيراً عجيباً لصالح الإسلام والمسلمين.

المساجد زادت والجمعيات الإسلامية قويت، والمسلمون أنفســـهم زادت معرفـــتهم ووعيهم بالإسلام وأولاد المسلمين صار لهم من يعلمهم مبادئ دينهم.

ونركـــز علـــى موضـــوع الأولاد لأن الأولاد هم الذين ســـيخلفون الآبـــاء وهم رجال المستقبل فنحث المسلمين على تربية أولادهم تربية إسلامية وأن لا يفرطوا في ذلك.

فلم أجد بلداً في العالم حالة المسلمين فيه الآن أسوأ مما كانت عليه في السابق أبداً، مطلقاً.

حـــتى من الناحية السياسية هذا الغريب أنا زرت ليبريا قـــبل ثلاثين سنة ووجدت المسلمين عندما زرتها أول مرة في زمـــن كـــانوا يسمونه زمن (الكريول) الكريول كلمة إنجليزية فرنسية معناها: المختلط أو الاختلاط.

ووجـــه ذلـــك أنه عندما حرم الرق في الولايات المتحدة

بقـــي فيها هؤلاء المحررون من العبودية ففكر القائمون على الأمـــر في أمريكا ماذا يصنعون بهم، فكروا فيما هو موجود الآن، قـــالوا لا نريدهم أن يبقوا عندنا أو يكون لهم حقوق مثل البيض، نريد أن نرحلهم إلى أفريقيا.

فذهـــبوا إلـــى مكان ليبريا واتفقوا مع بعض القبائل التي فيها على شراء أرض اشتروا منهم أرضاً صغيرة، وخططوا فـــيها مدينة وأرسلوا باخرتين مبدئياً مليئة بالعبيد المحررين، وســـموا المكـــان مـــا نروفيا على اسم مانرو الذي هو رئيس الولايـــات المـــتحدة في ذلك الوقت وسمو بلاد (ليبريا) بمعنى بلاد الحرية، الحرية كما تعلمون في المصطلح الإنجليزي.

فسموها ليبريا أي بلاد الأحرار، فصار هؤلاء هم الذين يحكمـــون الـــبلاد وكـــان المنصـــرون يأتون إليهم، ولم يكن المســـلمون يســـتطيعون عمل شيء بل لم يكن يوجد أحد من المسلمين المحليين.

وعـــندما زرتهـــا أول مرة ليس فيها ولا وزير مسلم واحد، وإنما يوجد نائب وزير واحد لوزارة غير مهمة في ذلك الوقت.

وفـــي العهد الأخير، بل الذي قبله ثار بعض زعماء القبائل مـــن أهل ليبريا ثاروا على الكريول، الكريول هؤلاء المختلطون

لأنهـــم أخذوا عبيداً ولا يعرف الإنسان منهم قبيلته ولا يدري من هو، أما أصحاب القبائل الأصلية فقد تزعمهم (صمويل دو) وهذا ضابط قام بانقلاب وقتل من الكريول في مجلس واحد ثلاثة عشر من زعمائهم، وقتل مئات آخرين من غيرهم.

فالمسلمون في عهده تنفسوا لأن المسلمين قبائل يعني من أهـــل البلاد الأصلاء، وهذا قام ضد الكريول، أي المختلطين الذين جاءوا من الولايات المتحدة فحصل انتعاش للمسلمين مع أنهم لم يقوموا هم بالثورة ولم يقتلوا أحداً من الناس.

ولكـــن قـــام الرئـــيس الحالي وهو جون تايلور الرئيس الحالـــي بـــثورة على صمويئل دو، وبعض النصارى الغرباء أعطـــوه المـــال والســـلاح فقـــام بحركة ضد المسلمين وقتل صـــمويل دو وصـــمويل دو ليس مسلماً، ولكن المسلمين في عهـــده حالهم أفضل وقتل اتباع تايلور عدداً من أئمة المساجد فـــي إقليم اسمه إقليم نمبا قتلوا أحد عشر إماماً وهددوا زعماء مسلمين بالقتل، فهرب المسلمون إلى غينيا، وإلى سيراليون.

ثـــم هـــذا الرجل الذي قتل المسلمين عاد ثانية إلى الحكم ولكن بتأيـــيد مـــن المسلمين والآن الحكومة الليبيرية كان عندي في مكتبي عضو البرلمان هناك قبل أمس فقط لم يحل دونه إلاّ اليوم.

قـــال: الآن نصـــف الحكومة والوزراء مسلمون والآن المسلمون في كل موقع من مواقع الدولة.

ونحـــن عـــندنا تقاريـــر عن هذا ولكن هذا جديد، واليوم هذا بالضـــبط جاءنـــا طلب حج لزوجة الرئيس جون تايلور، تطلب أن تستضيفها الرابطة وتحج معها، هذا أمر إلهي ليس لأحد فيه دخل.

ويمكـــن القول بأن المسلمين لا يوجدون قبل أربعين أو ثلاثيـــن ســـنة في مكان في أفريقيا ولا في آسيا ولا حتى في روســـيا إلا وهم الآن أحسن مما كانوا عليه، إلاّ ما حصل من رد لفعـــل مؤقـــت وهـــذا حصل بأن اضطهد المسلمون ولا يرخص لهم، لكن حتى في هذا لا يزالون يجاملهم الناس.

نحـــن نعرف أنه حصل حتى في زمن الرئيس الأمريكي بوش الابـــن الـــذي تزعم كما تعلمون هذه الحملة على بعض المسلمين وإن كـــان يزعم أن له حجة أخرى، أنتم تعرفون هذا لكن حصل في عهده مجـــاملات للمسلمين لم تحصل من قبل مثل حفلة للعيد، وحفلة إفطار في رمضان، أقامها الرئيس بوش لزعمائهم.

والرئـــيس الروســـي بوتيـــن لأول مـــرة رغم ما فعله بالشيشان يعايد المسلمين ويهنئهم بالعيد علناً، ويجاملهم.

لكـــن الأوربييـــن يخافون من الإسلام، ولكن في الوقت

نفســـه هـــم مضطرون إلى مجاملة الذين عندهم من المسلمين فهـــم بيـــن عاملين، قد يقول قائل لماذا الأوربيون يخافون من الإســـلام وبعضـــهم يعمـــل ضد المسلمين؟ هذا شيء ظاهر بالنسبة للأوربيين لأنه لم تحكمهم حضارة مستقلة إلاّ حضارة المسلمين، أي لم يحكمهم أحد غيرهم.

جـــاءتهم قبائل الهون المتوحشة، ولكن هذه ليس عندها ثقافة واضمحلت وذهبت.

والإســـلام بقي في أسبانيا ثمانمائة سنة في غرب أوربا وعـــندما انحسر بسبب تقاعس المسلمين وأمور كثيرة أسبابها ظاهـــرة **﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾** ا لمسلمين هـــم الذيـــن ظلموا أنفسهم وكان الإسلام قد أشرق على أيدي العرب والبربر في غرب أوروبا.

وعندما انحسر الإسلام عن أوربا من جهة الغرب، كان يشـــرق مـــن جهة الشرق على أيدي العثمانيين الأتراك، حتى إنهـــم حكموا يوغسلافيا مائتين وسبعة وستين سنة، وفي ذلك الوقت ما كان فيه اسم يوغسلافيا، ولكن تلك المنطقة كان في بلغـــراد مائتيـــن وسبعين منارة، وحتى مبنى البرلمان الحالي ليوغسلافيا كان مكانه مسجداً كبيراً للمسلمين.

المســـاجد فـــي شمال الأرض ما كانوا يؤسسونها مثلنا مساجد للصلاة فقط، وإنما كانوا يعملون المسجد ويبنونه أشبه مـــا يكون بالمركز الإسلامي يكون فيه غرف للإمام وغرف للمـــؤذن وغـــرف لطلبة العلم، ويكون فيه حدائق ويكون فيه لعابر السبيل غرف.

والآن المســـلمون يوجـــدون هـــناك أنا قلت في العصر الأخـــير، بالنســـبة للعصور السابقة هذه تحكمها كما يحكم كل العصـــور، لكن نحن لا نتصور نهاية العصر الحالي لأننا لا نتصور حدثاً لم ينته بعد ولا ندري ماذا تكون نتائجه.

لكـــن بالنسبة للعصور التي قبله نحن نتصورها ونعرف نـــتائجها أن المسلمين إذا تقاعسوا فالله سبحانه وتعالى لا يغير سنة الله في خلقه.

والله ســـبحانه وتعـــالى أمرنا بالاستعداد فقال: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم﴾**.

فهـــذا هـــو الـــذي أردت أن أقوله في الإجابة على هذا السؤال وشكراً.

وقد عقب الدكتور عبدالله الرميان على المحاضرة بقوله:

في الحقيقة أننا قد أثقلنا على الشيخ في ذلك ولكن نسأل الله سبحانه وتعالى له الأجر والمثوبة ونعده إن شاء الله بعد استجابة الشيخ لهذه الدعوة بلقاءات أخرى متجددة، نستفيد منها من حديث الشيخ ويكون أيضاً في جوانب أخرى نحن بحاجة ماسة إلى الحديث فيها.

في نهاية هذا اللقاء أتقدم بالشكر الجزيل لمعالي الشيخ محمد العبودي على كريم استجابته، وعلى ما أتحفنا به من هذه الكلمات وهذه التوجيهات وهذه الفوائد المنثورة.

ثم أيضاً أتقدم بالشكر الجزيل لمعالي مدير الجامعة الدكتور ناصر بن عبدالله الصالح على حضوره لهذه المحاضرة رغم كثرة مشاغله وكذلك أيضاً لسعادة وكيل الجامعة الدكتور هاشم حريري على استجابته، ولكم جميعاً أصحاب السعادة الدكاترة والمشايخ والطلاب والزملاء كافة على اجتهادكم وحضوركم واستفادتكم من ذلك، وكذلك أيضاً معالي الشيخ العبودي بارك الله فيه أيضاً أهدى إلينا مجموعة من الكتب التي تتحدث عن الرحلات لعل البعض يستفيد منها بقدر ما تكون متوفرة من بعض النسخ.

ثـــم يســـر الجامعـــة في نهاية هذا اللقاء أن تقدم درعاً تكريمـــياً لمعالـــي الشـــيخ محمـــد العبودي مع مجموعة من مطبوعات الجامعة إنما هي إشعار لما يكون بيننا وبين الشيخ إن شـــاء الله مـــن لقاءات متجددة، وأيضاً علامة على تقديرنا للشيخ ومحبتنا له يقوم معالي مدير الجامعة بتسليمها لمعاليه.